جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

قراءات في كتاب سيبويه

أ. د. نافع علوان بهلول الجبوري

المحاضرة الثامنة

(باب ما يكون من المصادر مفعولًا)

للعام الدراسي: ٢٠٢٥-٢٠٢٦

باب ما يكون من المصادر مفعولا

يفتتح سيبويه الباب بتأكيد أن الأصل في المصدر هو النصب على أنه مفعول مطلق، لأن المصدر يدل على الحدث الذي يقع عليه العمل في الجملة. أما الرفع فهو خروج عن هذا الأصل، ويحدث فقط عندما يُسند إليه الفعل المبني للمجهول، وهذا ما يُطلق عليه سيبويه: "شُغِل الفعل به"، ليصبح المصدر نائب فاعل شكلاً، دون أن يفقد دلالته الجوهرية كحدث.

١- المصدر المرفوع (النيابة)

لتوضيح حالة الرفع، يستعرض سيبويه المثال: "أيَّ سيرٍ سِير عليه؟ فتقول: سِيرَ عليه سَيرٌ شديدٌ". السؤال بـ "أيَّ سير" بالنصب يؤكد الأصل (المفعول المطلق). بينما الإجابة بـ "سَيرٌ شديدٌ" مرفوعة تُظهر أن المصدر تحول إلى نائب للفاعل، لأنه أصبح محور الحديث والمسند إليه الفعل (سِيرَ). سيبويه يُسميه "مفعولًا، والفعلُ له"، ليؤكد أنه مفعول في أصله ولكنه اكتسب حكم الرفع لوظيفة النيابة.

٢- المصدر المنصوب (العودة إلى الأصل)

عندما يُسند الفعل المبني للمجهول لشيء آخر غير المصدر (كأن يُسند للجار والمجرور كما في مثال "ضُرِب به ضربًا ضعيفًا")، فإن المصدر يعود إلى حالته الطبيعية وهي النصب. وهذا ما أسماه سيبويه: "شغلت الفعل بغيره عنه". المصدر المنصوب (ضربًا) هنا يعود لوظيفته الأصلية كمفعول مطلق، ويأتي إما لبيان النوع (مع وجود الصفة ضعيفًا) أو للتوكيد (إذا حُذفت الصفة).

يُعمم سيبويه القاعدة ليجعلها شاملة لكل المصادر: "وكذلك جميع المصادر ترتفع على أفعالها إذا لم تشغل الفعل بغيرها." أي أن مبدأ الرفع عند شغل الفعل بالمصدر هو قاعدة عامة ومطردة في النحو العربي.

٣- اجتماع الرفع والنصب

يُظهر سيبويه مرونة التركيب اللغوي من خلال إمكانية الجمع بين المصدر المرفوع والمنصوب في جملة واحدة. ففي مثال "سير عليه أيما سير سيرًا شديدًا"، تكون أيُّما سير مرفوعة كنائب فاعل (أي شغلت الفعل)، بينما سيرًا شديدًا هي مفعول مطلق منصوب جاء لبيان النوع وتأكيد الحدث المذكور.

٤- المصادر الدالة على العدد وبيان العدد

يُستخدم المصدر هنا لبيان عدد مرات وقوع الفعل (المفعول المطلق العددي)، حيث يأتي على صيغة المثنى أو الجمع. في مثال "سير عليه سيرتان أيما سير"، المصدر (سيرتان) مرفوع كنائب فاعل لبيان العدد الذي وقع به السير.

في عبارة "كم ضربة ضرب به"، يوضح سيبويه أن الموقع الإعرابي للنصب على المفعول المطلق يؤول إلى "كم" الاستفهامية (هي التي سدت مسد المفعول المطلق)، أما كلمة ضربة فهي مجرد تمييز لـ كم. هذا يؤكد أن سيبويه ينظر إلى الوظيفة الأصلية للكلمة، وليس لظاهرها.

يُقر سيبويه أن اللغة العربية تسمح بـ المجاز والخزل (الاختصار والإسقاط). فعبارته الشهيرة: "الضرب لا يضرب " تعني أن المصدر يُستخدم مجازاً لتمثيل مقدار أو جنس ما وقع به الفعل (المضروب من الضرب)، اختصارًا وعلماً من السامع بالمعنى المراد.

يربط سيبويه استخدام المصادر العددية التي نابت عن الفاعل مجازًا (مثل "سير عليه خَرْجتان، وصيد عليه مرتان") بظواهر لغوية عامة أخرى، مثل "وُلِد له ستون عامًا". هذا الربط يثبت أن ظاهرة المجاز والإسقاط في اللغة (الخزل) هي قاعدة لغوية شاملة وليست مقتصرة على المصادر.

مثال "بُسِط عليه مرتين" يؤكد أن المصدر المثنى (مرتين) هنا يُنصب إما على أنه ظرف زمان (أي في زمن مرتين) أو أنه مفعول مطلق عددي منصوب. المعنى الدقيق يُستفاد من سياق الجملة.

٥-. المصدر بين الظرفية والنيابة

في حالة الأسماء المثناة القابلة للظرفية (مثل "طوران" في مثال "سير عليه طوران")، يوضح سيبويه مرونة الإعراب: يجوز الرفع (طوران) للنيابة عن الفاعل (اسم الحدث)، ويجوز النصب (طورين) على الظرفية الزمنية (إذا أضمرت دلالة الزمن).

تتحول المصادر المثناة (كـ مرتين، طورين، ضربتين) من الدلالة على الحدث إلى الدلالة على الزمن (الدهر أو الأحيان). في هذه الحالة، المصدر لا يصف نوع الفعل، بل يحدد مقدار وقت وقوعه، كما في تأويله: "أي قدر ضربتين من الساعات".

في مثال "انتُظر به نحر جزورين"، يُستخدم المصدر كـ ظرف زمان (أي زمن نحر جزورين)، مماثلًا لظروف الزمان القياسية (كـ مَقْدَمَ الحاجّ). ويُشير سيبويه إلى أنه حتى لو كان المصدر في الأصل دالاً على الظرف، فإنه يجوز رفعه (نحرُ جزورين) إذا أُسند إليه الفعل المبني للمجهول، ليعود لقاعدة المصدر النائب عن الفاعل.

٦- المصدر كـ حال أو توكيد

. قول سيبويه: "ومما يجيء توكيدًا ويُنصب قوله: سير عليه سيرًا، وانطلق به انطلاقًا، وضُرِب به ضربًا، فيُنصب على وجهين: أحدهما على أنه حال... وإن شئت نصبتَه على إضمار فعل آخر، ويكون بدلًا من اللفظ بالفعل..."

سيبويه يقدم تفسيرين مختلفين للنصب في هذه الحالة (المفعول المطلق المؤكد):

أ. النصب على أنه حال: يربط المصدر بجملة الحال (كقولك: ذُهِبَ به مَشْيًا). المصدر المنصوب هنا يصف هيئة الفاعل أو المفعول عند وقوع الفعل، ولذلك سُمي حالاً.

ب. النصب على أنه بدل من اللفظ بالفعل: هذا هو التفسير الأعمق. المصدر المنصوب ينوب عن جملة فعلية محذوفة (كأنك قلت: يَسيرونَ سَيْرًا). لم يقل سيبويه "نائب عن الفعل"، بل "بدلًا من اللفظ بالفعل"، للدلالة على أن المصدر قام مقام الفعل كله في التوكيد والحكم.

قول سيبويه: "...ولا يجوز أن تدخل الألف واللام في السير إذا كان حالًا، كما لم يجز أن تقول: ذهب به المشي العنيف وأنت تريد جعله حالًا."

التعليل هنا منطقي ومؤسس على وظيفة الحال. الحال تكون غالبًا اسمًا نكرة مشتقًا (أو مؤولاً به). ولأن المصدر هنا يؤدي وظيفة الحال (يصف هيئة النسبة الفعلية)، فإنه يمتنع فيه دخول "الـ" التعريفية التي تنافي التنكير المستوجب في الحال.

قول سيبويه: "وإن شئت قلت: سير عليه السير، كما قلت: سير عليه سير شديد... وجميع ما يكون بدلًا من اللفظ بالفعل لا يكون إلا على فعل قد عمل في الاسم، لأنك لا تلفظ بالفعل فارغًا، فمن ثم لم يكن فيه الرفع في كلامهم..."

أجاز سيبويه قول: "سير عليه السير" (بالألف واللام) لأن المصدر في هذه الحالة عاد إلى أصله كوصف، وأصبح بمثابة اسم تام. الأهم من ذلك، أنه أشار إلى أن دخوله هنا يكون على مذهب البدل من اللفظ بالفعل (نحو "الحذرَ الحذرَ")، حيث أصبح المصدر نفسه هو محور الحديث المسند إليه الفعل، ويقويه الوصف.

لم يقل سيبويه إن البدل من الفعل لا يُرفع مطلقًا، بل علل ذلك بقوله: "لأنك لا تلفظ بالفعل فارغًا". هذا يعني أن المصدر الذي يحل محل الفعل يجب أن يكون عاملًا أو

معمولًا له، ولا يمكن أن يكون مرفوعًا لأنه يُمثّل حدثًا مُسندًا، أي أنه في موضع المفعول الذي يُطلب به العمل.